الجزء السابع من السنة الثالثة

قلعة بعلبكّ وتاريخها

تابع ما قبله

وعند دخول الناظر من الباب الى داخل الهيكل يرى عن يمينهِ ويسارهِ عمودين ضخمين اجوفين في كلٍ منهما درج ملتف كاللولب اما الجنوبي فقد تخرّب اكثرهُ واما الشمالي فلهُ خرقٌ يدخل منهُ اليهِ زحفًا على البطن وفيهِ ٦٩ درجة تؤدي الى اعلى الهيكل . وطول هذا الهيكل مع اروقتهِ ٢٢ قدمًا وعرضهُ ١٢٠ قدمًا وقد تهدّم جانب كبير منهُ الاّ انهُ لم يزل فيهِ من الاعمدة المضلعة والاطناف المتقنة والتماثيل والنقوش ما يحير الناظر ويدهش اللبيب وفيهِ ادلة واضحة على ان النصارى حوّلوهُ الى كنيسة لما استولوا عليهِ فعلى حائطهِ الغربي آثار واضحة منهم وعلى حائطهِ الجنوبي صليب

واما بناء العرب فمقابل هيكل الشمس ولا يبعد ان يكونوا قد بنوهُ من انقاض الخرابات الأُخَر كما بنوا سور القلعة . واجمل ما في هذا البناء واتقنهُ المدخل والقطعة المستديرة فوقهُ اما غرفة فتينة يدخلها الضوء من ثقب مستدير في سقفها . ولم تزل على زاوية الهيكل المتجهة الى الجنوب الشرقي ولم يزل اسم بانيها على بعض حجارها ولما فتحوا بعلبك واستحوذوا على هذه المباني حوّلوها الى قلعة وبنوا من انقاضها واعمدتها المكسرة سورًا حولها وجعلوا فيهِ مرامي للسهام ونحو ذلك من لوازم التحصين

فهذا يسير من وصف تلك الخرابات الشهيرة واستيفاء وصفها متعذّر على القلم فلا يصوّرها ابرع كاتب لاذكى قارئ وانما تبدو دقائقها وتتضح رسومها لمن يقرن السمع بالبصر . والى شرقي القلعة خربة هيكل صغير مستدير اضربنا عن وصفها وامام دار الحكومة تمثال امرأة جالسة كبير المجسم ولكن الراس مفقود ودقائقهُ كالاظافر ونحوها كسّرها جهلاء متناولة بعلبك ولا يبعد انهُ تمثال للزهرة

اما تاريخ هذه القلعة فاسقم مما يُعهَد في تواريخ امثالها والبلدة نفسها لاذكر لها في تواريخ الاقدمين مع انها كانت على غاية النجاح لوقوعها بين صور وتدمر والهند فكانت محطًا لقوافل تجارها ولذلك زعم البعض ان اسمها قديمًا لم يكن بعلبكّ وذهب الدكتور طمسن في كتابهِ الى انها بعل جاد المذكورة في التوراة لموافقة موقعيها (انظر يش ١١ : ٧ و١٣ : ٥) واقدم ما يُعرَف عن بعلبك انها كانت من اعمال الرومانيين في القرن الثاني والثالث بعد المسيح كما يستفاد من نقود قديمة ضُرِبَت فيها واقدم ما ذُكرت فيهِ هياكلها كتابة ليوحنا الانطاكي مفادها ان انطونيوس بيوس بنى ببعلبكّ هيكلاً عظيمًا

لرفس يُعَدُّ من عجائب المسكونة العظمى واما يوليوس كابيتولينوس وهو كاتب تاريخ انطونيوس فلم يذكر شيئًا من ذلك ولهذا زعم البعض ان انطونيوس انما رمَّم ذلك الهيكل وادَّعى بناءهُ . وبعلبكُ من السريانية بمعنى مدينة بعل اي الشمس ويظهر من كتابة انطونيوس بيوس على القاعدتين في الرواق المقدَّم ان الهيكل الكبير كان مكرسًا لكل الآلهة فيكون الصغير هيكل بعل او الشمس كما سميناهُ فكانوا يعبدون الشمس فيهِ و (قال بعضهم) الزهرة ايضًا حتى ابطل الملك قسطنطين عبادتهما كلتيهما . ولما قام ثيودوسيوس الكبير (من ٣٧٩ الى ٣٩٥ بعد المسيح) حوَّله الى كنيسة ولم تزل في قبضة المسيحيين حتى زحف ابو عبيدة من دمشق على حمص فحاصر بعلبكَّ واخذها وحصن هيكليها وجعلها قلعةً فاشتهرت بهذا الاسم وكان لها في حروب السلاجقة وسلاطين مصر نبأٌ عظيم . وفي ١١٢٩ فتحها الامير زنجي وزلزلت في ذلك الجبل زلازل عدة وفي ١١٧٥ استحوذ عليها صلاح الدين الايوبي وفي ١١٧٦ شن الصليبيون الاغارة من طرابلس على ضواحيها تحت قيادة ريموند فغزوا العرب وآبوا غانمين واغار عليها ايضًا بلدوين الرابع من صيدا فغزا وعاد غانمًا وفي ١٢٦٠ خربها هولاكو وفتحها بعدهُ تيمور ثم استولى عليها المناولة ولم تزل تابعة لبني الحرفوش حتى استولى عليها الجزَّار فدخلت في حكم الاتراك ولم تزل

هذا ومذهب العرب والاهالي ان سليمان باني خرابات بعلبكَّ ومذهب غيرهم ان المصريين بنوا الدكة وغيرهم ان الفينيقيين بنوها وان الرومان بنوا الابنية التي عليها وان العرب بنوا بناءهم وحصَّنوا القلعة من انقاض الابنية الأُخَر . فهذا مجمل آراء الجمهور وعليهِ يكون باني قلعة بعلبكَّ غير واحدٍ والله اعلم

الحيَّات

كلام عام * اجمع الناس في كل عصر على كراهة الحيَّة ونسبتها الى الشر والدهاء مطابقةً لما جاء عنها في الكتب الدينية او فزعًا مما في انسابها من الخبث وفي انيابها من السم الناقع فهابوها مهابة العدو والقدير وراعوا جانبها مراعاة الملك العاتي ولم يأمنوا غوائلها في حال من الاحوال قالوا

انَّ الافاعي وان لانت ملامسها عندَ القلوبِ في انيابها العطَبُ

ورسخت هيبتها في عقول السذَّج حتى لم يتصوَّروا معها الاَّ الموت الاحمر والحال ان اكثرها غير سام والسام نادر على قلتهِ كما سنبينهُ

والحيَّات انواع كثيرة تندرج تحت قسمين كبيرين سام وغير سام وكلها تشترك في دقَّة البدن واستطالتهِ وملاستهِ وخلوهِ من القوائم (الايدي والارجل) . ومن اخص اوصافها ان فكيها مرتبطان